المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:06، العدد:01 (2022)، ص753-776

هجرة النخب الجزائرية إلى البلاد التونسية خلال القرن التاسع عشر: الخلفيات والتحديات

The Emigration of the Algerian Elite to Tunisia in the Nineteenth Century: the Reasons & the Challenges.

العياشي روابحي
جامعة عنابة (الجزائر)
rouabhi23000@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/04/07
تاريخ القبول:
2022/05/22

الكلمات المفتاحية:
- ✓ النخب الجزائرية
- ✓ الهجرة
- ✓ المستعمر الفرنسي
- ✓ البلاد التونسية

الملخص:

خلال القرن التاسع عشر فضلت بعض النخب الجزائرية الهجرة إلى البلاد التونسية للفكاك من جور الفرنسيين الذين تعدوا عليهم بمختلف أصناف المظالم، كما هاجروا إليها أيضا امتثالا لقناعة دينية مؤداها أنه لا يسوغ للمسلم العيش بين أظهر الفرنسيين المسيحيين. وتحاول هذه الدراسة رصد أسباب وخلفيات هذه الهجرة من خلال محاولة إبراز دور العامل الديني والسياسة الاستعمارية في ذلك، كما أنها تقدم لنا نماذج عن هذه النخب التي تقاطرت على البلاد التونسية خلال تلك الحقبة التاريخية والتحديات التي واجهتها هناك. وقد شملت هذه النخب: طائفة العلماء، رواد المقاومة الوطنية المسلحة، وبعض العائلات الجزائرية الكبرى.

Article info

Received:
07/04/2022
Accepted:
22/05/2022

Key words:
- ✓ Algerian Elite
- ✓ Emigration
- ✓ French Colonialist
- ✓ Tunisia

Abstract:

During the 19th c, the Algerian Elite emigrated to Tunisia in order to escape from French abuses when they felt oppressed by the unfair occupier. Another push-factor lies behind their emigration to Tunisia; it was purely religious, since the Muslim is required to emigrate whenever he feels that his creed is desecrated. This study attempts to exhibit the real reasons behind such emigration by demonstrating the role of the religions factor, and the colonial policy in such decision. Furthermore, the paper presents some other samples of elite emigrants and the challenges they faced there. This Elite comprises: scholars,National armed resistance leaders some Algerian dignitaries.

مقدمة

إن دراسة تحمل عنوان: "**هجرة النخب الجزائرية إلى البلاد التونسية خلال القرن التاسع عشر: الخلفيات والتحديات**" سوف تثير العديد من التساؤلات تتمحور أساسا حول عمق الروابط التاريخية التي تجمع بين الشعبين الجزائري والتونسي خاصة منذ القرن التاسع عشر، حيث تعرضت فيه كل من الجزائر وتونس إلى الهيمنة الاستعمارية الفرنسية. وقد كانت البلاد التونسية خلال هذه الفترة ملاذا آمنا لبعض النخب الجزائرية الذين شدوا الرحال إليها خاصة قبل انتصاب الحماية الفرنسية عليها عام 1881 هروبا بدينهم ومقوماتهم الحضارية، وكذلك للفكاك من ممارسات المستعمر الفرنسي الذي اغتصب بلدهم عام 1830، وسلط ضدهم سياسة جائرة.

لقد حاولت معالجة هذا الموضوع بالتعرض بادئ ذي بدء إلى مفهوم هذه النخب المشمولة بالدراسة وبيان تطوره، ثم التطرق إلى مسألة الهجرة بين الخلفية الدينية ودور السياسة الاستعمارية الفرنسية، وأخيرا تعرضت إلى بعض النماذج المهاجرة من هذه النخب، وقد لخصتها في ثلاث طوائف هي: العلماء، رواد المقاومة الوطنية والعائلات الكبرى.

وبغية الإحاطة بهذا الموضوع من كل جوانبه، فقد استقيت معلوماته من بعض الوثائق الأرشيفية التي عثرت عليها في الأرشيف الوطني التونسي والأرشيف الفرنسي بمدينة إيكس أون بروفانس (A.O.M)، وكذلك بعض وثائق الأرشيف الفرنسي (أرشيف إيكس أون بروفانسA.O.M وأرشيف وزارة الشؤون الخارجية A.M.A.E) التي توجد مصغرات فيلمية منها بالمعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر (I.S.H.T.C)، وهذا مع الاستعانة والاستئناس ببعض الدراسات التي تعرضت لهذا الموضوع ضيقا واتساعا.

1. النخبة الجزائرية وتطور مفهومها

عرف قاموس اللغة الفرنسية النخبة على أنها: "**مجموعة من الأشخاص يحوزون على خصائص إيجابية وصفات حميدة تكسبهم الحظوة والمكانة الأدبية الرفيعة وتميزهم عن سواهم داخل مجموعاتهم وطوائفهم، ونتيجة لذلك فإنه ينظر إليهم على أنهم أفضل الناس وأبرزهم**"، وقد ظهر أول استعمال لمصطلح النخبة خلال القرن الثاني عشر في الأوساط الأوروبية. (Robert,1990,p619)

كما عرّفت النخبة أيضا على أنها: "**الطبقة العليا من طبقات المجتمع. ورغم أنها تمثل فئة الأقلية إلا أنها تقع على كاهلها مهمة القيادة والريادة في المجالات السياسية، الاقتصادية، الثقافية والروحية. وقد عرفت كل المجتمعات البشرية هذه الظاهرة حيث برزت هذه الفئة كأقلية حاكمة بيدها زمام الحكم وتفرض سيطرتها على أقلية محكومة. وإذا كانت كل الثقافات تعترف لها**

بامتيازات عديدة تمنح لها، وتكن لها الاحترام والحظوة والتبجيل، فإنها تختلف في نظرتها إلى طريقة تشكيلها وتكوينها" (Smati 1998,p6).

ويبدو أن مفهوم النخبة ظهر في الدين الإسلامي وتجلى بصورة واضحة في الآية الكريمة: ﴿... **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ**...﴾ (قرآن كريم، سورة الأنبياء الآية 73)، وبهذا نرى أن الدين الإسلامي كان قد حصر مفهوم النخبة في فئة الأنبياء والرسل، ويدخل في حكمهم أيضا العلماء الذين رفعهم هذا الدين إلى منزلة ومكانة قريبة من الأنبياء، وذلك مصداقا لقول الرسول ﷺ: "**العلماء ورثة الأنبياء**". وعلى هذا الأساس فإنه ليس من السهولة بمكان تبؤ هذه المكانة المرموقة. فالعالم في منظور الدين الإسلامي هو ذلك التقي المخلص، المحب للخير والعارف بعلوم الدين والدينا. (Smati, 1998, p29)

وقد قسم المسلمون الأوائل المجتمع الإسلامي إلى ثلاث طبقات هي: طبقة العامة، وطبقة الخاصة، وطبقة خاصة الخاصة، فالطبقة الأولى تتشكل من عامة الناس والسواد الأعظم من المجتمع. ورغم أنها تمثل الأغلبية الساحقة من المجتمع إلا أنها لا تشارك في تسيير الشأن العام بحكم قصورها وعدم كفاءتها، بل عليها الإذعان إلى إرادة الأقلية وهي طبقة الخاصة بقسميها، والتي تشكل نخبة المجتمع، وهي تتألف من العلماء وأهل الفكر (Smati, 1998,p29).

وقد درس بعض رجال الإصلاح المسلمين هذه المسألة في الفترة الحديثة والمعاصرة، ومنهم العالم الهندي أبو الأعلى المودودي الذي أكد على ضرورة احتكام المجتمع الإسلامي إلى حكم النخبة والامتثال لآرائهم والابتعاد عن نواهيهم، مؤكدا في الوقت نفسه على خطورة مسؤولية هذه الفئة في ريادة المجتمع، لأنها هي التي تشكل صمام أمانه وتحفظ تماسكه. فإذا صلحت وتماسكت صلح المجتمع وساد النظام، وأما إذا طلحت وزاغت وانحرفت فإن هذا المجتمع يكون مصيره الفوضى والانحلال (المودودي، 1984، ص 218).

وخلال العهد الإسلامي اقتصر هذا المفهوم على طائفة المرابطين وعلماء الدين والأشراف الذين كانوا يشكلون نخبة متميزة في مجتمع الغرب الإسلامي، بل في مجتمع العالم الإسلامي برمته، حيث نالوا مكانة متميزة بين السكان، ومنحت لهم المناصب الريادية في مختلف التنظيمات القبلية، وأخذ الناس بآرائهم وامتثلوا لأوامرهم ونواهيهم وتوجيهاتهم، حتى صاروا يشكلون نخبة سياسية ودينية يحتكم لها الناس في عظائم أمور الدين والدنيا (بل،1989، ص 422).

ومن المتصور أن هذا المفهوم لم يكن حينئذ ينسحب على مجتمع الغرب الإسلامي فحسب، بل عرفته بلدان أوروبا المسيحية كذلك التي كانت تصطفي نخبها وأعيانها من الأوساط الكنسية وفئة

النبلاء ورجال الدين المسيحيين، ذلك أن العامل الديني والإثني هو الذي كان يشكل حجر الزاوية في تبؤ هذه المكانة التي هي ليست في متناول الجميع (فيلالي،2005، ص9).

وكانت العائلات الإقطاعية في أوروبا تنتج هذه النخب وتمد العروش الملكية بعدد كبير من الملوك، وقد ازداد بأس هذه العائلات خاصة بعد تحالفها مع الكنيسة ورجال الدين المسيحيين. (العدوي،1961، ص246)، أما خلال العهد العثماني فقد عرف المجتمع الجزائري بروز ثلاثة أصناف اجتماعية من النخبة هي:

- أهل الحضر الذين كانوا يشكلون الفئة البرجوازية صاحبة المال والنفوذ المادي والمالي والذين يسكنون المدن والحواضر
- الأجواد وهم نبلاء السيف الذين كانت لهم اليد الطولى في إدارة الأرياف والمناطق البعيدة عن المدن، ويتشكلون أساسا من العائلات الكبرى ذات النفوذ المادي والأدبي.
- المرابطون الذين اكتسبوا نبالتهم الدينية والروحية بفضل ورعهم وتقواهم وانشغالهم بالعبادات والطاعات وابتعادهم عن أدران حياة الدنيا وملذاتها.(Smati 1998, p29)

غير أن هناك من ينازع هذا التصنيف ويرى أن المجتمع الجزائري عرف خلال العهد العثماني نوعين من النخبة هما: نخبة حكومية (رسمية) وأخرى غير حكومية (غير رسمية). فالطائفة الأولى تنتجها الحروب والغزوات، وهي تتشكل من العلوج Les Renégats الذين يرتقون إلى مصاف الباشوية بطرق غير مشروعة كالعنف والنفوذ المالي واغتصاب السلطة، ويدخل في حكمهم أيضا الكراغلة lesKouloughlis، (وهم نتاج تزاوج أفراد الجيش التركي "**الإنكشارية**" بنساء الجزائر)، وقد سمح لهم بمباشرة بعض الوظائف الحكومية السامية كوظيفة الترجمان، والباش أسكي، والخوجة ونحو ذلك.

أما الطائفة الثانية التي تتألف من النخب غير الحكومية، فقد كان أساس تشكيلها ديني صرف، بحيث تنتجها الزاوية وشجرة النسب، ذلك أن الزاوية كانت تنتج فئة المرابطين الذين تصطفيهم العناية الإلهية (فيلالي،2005، ص11).

وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، عمل الفرنسيون على تشجيع استمرارية هذه الأصناف من النخب في المجتمع الجزائري، إلا أنهم مع مرور الوقت أنتجوا طبقة أخرى من هذه النخب تشكلت في أغلبيتها من أحفاد العائلات الكبرى التي قدمت ولاءها للمستعمر في بداية الاحتلال، وقد سمح لهم بدخول المدارس الفرنسية لتلقي مختلف أصناف المعرفة والعلم، لجعلهم مطية لاختراق المجتمع الجزائري لأنهم وظفوا بعد تخرجهم من هذه المدارس كوسطاء إداريين des auxiliairesadministratifs يمثلون الجسر الرابط بينهم وبين المجتمع الأهلي الذي يحكمون قبضتهم عليه (Deschamps, 1964,p54).

غير أن ما ميز جماعة النخبة الجزائرية خلال القرن 19 هو ارتباطها وتزعمها لثورات المقاومة الوطنية المسلحة التي عصفت بالجزائر في تلك الفترة، ذلك أن زعماءها حملوا على عاتقهم لواء الذود على حياض هذا "**الوطن**" باعتباره "**دار الإسلام**" الذي اغتصبه "**الكافر المسيحي**" ظلما وعدوانا، وقد رفعوا لواء الجهاد والمقاومة كذلك من أجل الدفاع على قيم هذا المجتمع الذي اصطفاهم وبجلهم (فيلالي،2005، ص16).

وكانوا أيضا من خلال هذه الثورات يدافعون على وجودهم كنخب فاعلة لأن مركزهم الديني والمادي الذي توارثوه عبر الأجيال، وكذا شوكتهم الأدبية ومصالحهم الدينية والدنيوية كانت كلها مهددة بالزوال في ظل المعطيات الجديدة التي أفرزها الغزو الاستعماري الفرنسي للجزائر .(Guenaneche,1990,p24)

لم نرد أن ننهي الحديث عن مفهوم النخبة الجزائرية وتطورها دون الإشارة إلى أن هذه الفئة من المجتمع أطلقت عليها عدة تسميات عبر مختلف العصور التاريخية كالأعيان والكبار والخيام الكبرى، والرياس، والعقلاء، والشيوخ ونحو ذلك. وقد استمر العمل بهذه التسميات خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية (Chair, 1971, p310)، وهي كلها تسميات تدل على المكانة العالية التي لا تحصل لعامة الناس، وهي تترجم كذلك منزلة هذه النخب وهيبتها في نظر السكان.

هكذا يتراءى لنا أن المجتمع الجزائري عرف بروز هذه الطائفة منذ عهود سحيقة، وقد نالت التبجيل الذي منح لها بناء على عنصر التراضي القائم بينها وبين السكان، غير أن اتصالها بالمستعمر الفرنسي في بداية الاحتلال وتعاونها معه في بعض الأحيان أدى إلى تسمم علاقتها به، وهو الأمر الذي دفع بهذه الجماعة إلى تبني مواقف متباينة منه تراوحت بين محاولتها التأقلم مع وضعها الجديد في ظل الإدارة الاستعمارية الفرنسية التي منحتها بعض الامتيازات، والثورة ضدها عندما اضطربت علاقتها بها، ثم هجرة بعضها إلى البلدان الإسلامية ولاسيما إلى البلاد التونسية بحثا عن فضاء اجتماعي وديني أحسن، وقد جنحوا إلى هذا الخيار بعدما ضاقت بهم أرض الجزائر بما رحبت.

2. الهجرة بين الخلفية الدينية ودور السياسة الاستعمارية الفرنسية

إذا كانت لهجرة النخب الجزائرية إلى البلاد التونسية دوافع وخلفيات، فثمة اختلاف بين المؤرخين والباحثين في تقديم أحدها على الآخر، فقد ركز البعض– ولاسيما الفرنسيون– على العامل الديني واعتبروه عاملا مركزيا مقدما على سائر العوامل الأخرى المرتبطة أساسا بجور الفرنسيين وتعديهم على مختلف شرائح المجتمع الجزائري بمختلف المظالم، **فما هي الحقيقة التاريخية لهجرة النخب الجزائرية من بلدهم؟ وهل للدوافع الدينية دور في ذلك؟ أم أن هذه الظاهرة كانت لها مبررات أخرى؟** سنحاول فيما يلي توضيح ذلك بشيء من التفصيل.

1.2. العامل الديني ودوره في الهجرة

في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر طرح السؤال الفقهي الآتي: **هل يجوز للمسلم الإقامة والعيش بين أظهر المسيحيين؟ وهل يسوغ له العيش في إطار قوانين وتراتيب تسنها سلطة مسيحية أم أنه ملزم بمبارحة بلده والهجرة إلى مكان آخر تنتفي فيه هذه الشروط؟** وإذا أردنا أن نكون أكثر دقة نقول **هل يجوز للجزائريين البقاء في بلدهم والعيش تحت سلطة الفرنسيين الذين اغتصبوا بلدهم ظلما وعدوانا أم أنهم ملزمون بالهجرة إلى بلد إسلامي آخر لأن بلدهم الجزائر تحول إلى "دار كفر" أو "دار حرب" بسبب سيطرة "الرومي المسيحي" عليه وفقا للتمثلات الدينية السائدة حينئذ؟**

أجاب بعض علماء الجزائر ونخبها وقادتها وزعماء رأيها في ذلك الحين على هذا السؤال، ومنهم الأمير عبد القادر الذي قال بوجوب الهجرة، وكان دليله على ذلك ورود عدة آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة وآراء فقهية تحث المسلم على ذلك خاصة و "**أن القرآن الكريم مملوء بذكر الهجرة ومدحها وذم تركها**" (الجزائري، 2007، ص485)، منها قوله تعالى: ﴿**قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**﴾ (قرآن كريم، سورة النساء، الآية 97).

حيث تدل هذه الآية على أنه لا عذر للمسلم في ترك الهجرة إلا بسبب ضيق الأرض وعدم اتساعها، إلا أن الله تعالى وسعها، وما دام هذا الاتساع ذكره الله تعالى، فذلك يدل على أنه لا عذر غيره، وكذلك قوله: "**أنا بريء من كل مسلم مقيم بين أظهر الكافرين**" (الجزائري، 2007، ص485).

ولم يكن الأمير عبد القادر ونخبة الإخوان القادريين لوحدهم من دعوا الناس إلى الهجرة وحببوها في قلوبهم فحسب، بل عضدتهم في ذلك نخبة الإخوان الرحمانيين. ومن رجالهم ونسائهم الذين باشروا هذا الدور نذكر الحاج عمر، ولالة خديجة، ولالة فاطمة نسومر، وأحمد بن الطيب بن سالم، والمهدي السكلاوي. هذا الأخير الذي لم يكتف بهجرته إلى بلاد الشام بمفرده، بل أصدر نازلة دعا فيها كل أتباعه الرحمانيين إلى مبارحة الجزائر باعتبارها دار حرب أو دار كفر والتوجه إلى بلد إسلامي (سعد الله، 2007 ، ص26)، ولعل انشغال نخبة إخوان الطريقة السنوسية بمسألة الهجرة حينئذ جدير أيضا بالإشارة إليه في هذا السياق، فقد كان الشيخ السنوسي المعروف بموالاته للدولة العثمانية من دعاة الهجرة إلى اسطنبول وبلاد المشرق العربي، لأنه كان مقتنعا بحكم وجوبها بآيات من كتاب الله، وبالموازاة مع ذلك لم يكن يتجشم عناء الدعوة إلى حمل السلاح ضد فرنسا التي احتلت الجزائر وحولتها إلى "**دار كفر**".(Triand, 1995,p187) وقد شغلت هذه المسألة أيضا بال

بعض النخب الجزائرية الأخرى كقدور بورويلة ومصطفى الأغواطي، فالأول أجاز البقاء بينما الثاني دعا إلى الهجرة (يحياوي، 2007، ص54).

والواقع أن هذه النظرة كان قد تقاسمها أيضا بعض رواد المقاومة الوطنية المسلحة في الجزائر الذين كانوا يمثلون النموذج الأمثل للنخب العسكرية الجزائرية في ذلك الحين، مثلما تؤكده بعض الوثائق الموجودة في الأرشيف الوطني التونسي، كالرسالة التي كتبها الثائر الجزائري الناصر بن شهرة الذي انفض من حول الفرنسيين في الفترة الممتدة ما بين (1851 –1875) واحتمى بالتراب التونسي، وأجرى اتصالات مع الرسميين التونسيين ومنهم محمد باي تونس (1856– 1859) الذي كتب له رسالة، والمتأمل في ثناياها يدرك بداهة أن هجرته هناك كانت تنطوي على قناعة دينية لاسيما عندما يفصح عن مسوغات مغادرته الجزائر واستقراره ببلدة توزر التونسية، حينما يربطها بالوازع الديني الذي يتجسد في طاعة الله ورسوله ﷺ أو "**بالحرمة من أجل الدين**" التي انتفت في بلاده (الأرشيف الوطني التونسي، السلسة التاريخية، الحافظة 212، الملف 237، الوثيقة 4).

والحقيقة أن المتأمل في مضامين الرسائل التي كان يكتبها الثائر الجزائري الكبلوتي بن الطاهر الرزقي إلى رجال السلطة في تونس عندما ثار ضد الفرنسيين كذلك عام 1871 ثم هاجر إلى البلاد التونسية يمكنه أن يستنتج منها بعض الايحاءات التي تشير إلى تأثير الوازع الديني على هجرته هناك أو على الأقل أنها تبرز صراحة ورعه والتزامه الديني الذي يلزمه بمبارحة الجزائر باعتبارها "**دار كفر**" أو "**دار حرب**".

ففي 24 فيفري 1871 راسل الوزير مصطفى خزندار وأحاطه علما بدخوله رفقة جماعته إلى البلاد التونسية قائلا له: "... **فالمقصود من جزيل فضلك أن تجعلنا تحت جناحك وتنظرنا بعين رضاك فإن عين الرضى عن كل عيب كليلة فإن آويتنا فقد قال جل من قائل: "والذين آووا ونصروا" وقال: "وما تفعلوا من خير يعلمه الله" ونسأل الله أن يزيدنا وأياك من فضله ورضاه بجاه نبيه الأواه إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير...**" (الأرشيف الوطني التونسي، السلسة التاريخية، الحافظة 212، الملف 240، الوثيقة 2).

وكان الكبلوتي في اليوم نفسه أيضا قد راسل باي تونس محمد الصادق باشا قائلا له: "... **والآن سيدنا فها دخلنا تحت حكمك وممتثلين أمرك ومتشبثين لفضل الله ثم فضلك فإن أنعمت علينا بأعز جواب من عندك مرموقا بأمرك ونهيك فالحمد لله على فضل الله ثم فضلك والسلام من فقير ربه اللطيف الناصر الكبلوتي بن الطاهر ابن الرزقي الحناشي وكل من معه...**" (الأرشيف الوطني التونسي، السلسة التاريخية، الحافظة 212، الملف 240، الوثيقة 1، الملحق 1).

إن ما يمكن ملاحظته أيضا على تلك الرسائل التي كان يكتبها رواد المقاومة الوطنية الجزائرية إلى الرسميين في تونس حينما احتموا ببلادهم أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم مهاجرين في سبيل

الله، وأن هجرتهم إلى هناك كانت امتثالا لتعاليم الدين الإسلامي، وهو الأمر الذي يبرز بوضوح تأثير الوازع الديني على هجرتهم ففي تلك الأثناء مثلا كتب الثائر الناصر بن شهرة رسالة إلى الباي التونسي قدم له فيها عزاءه إثر وفاة أحد أقاربه، ثم أشار له إلى أنه مهاجر في سبيل الله، لذا التمس منه أن يشمله بشيء من الرعاية ويخلصه من غوائل الدهر حيث قال له في نهايتها: "... **واليوم ران (كذا) في وطنك واحنا (كذا) خرجنا من وطن (كذا) مهاجرين في سبيل الله ما عندنا تبدل ولا تحول من الدار السعيدا (كذا) وأنت يسدنا (كذا) لا تغفل علينا والسلام من الشيخ بن نصر بن شهر (كذا) أيده الله أمين أمين...**" (الأرشيف الوطني التونسي، السلسة التاريخية، الحافظة 78، الملف 930، الوثيقة 29).

وفي السياق ذاته كتب سلمان بن جلاب زعيم عائلة بن جلاب رسالة إلى السيد إسماعيل صاحب الطابع بتونس عام 1866، استعطفه فيها بأن يمده ببعض رؤوس الأغنام كمساعدة له حتى يتمكن من تجاوز حالته الاجتماعية التي تدهورت بعد نزوحه إلى البلاد التونسية إثر انكساره أمام الجيوش الفرنسية. وقد أشار صراحة في خاتمة هذه الرسالة كذلك إلى ما يفيد بأن هجرته إلى هناك كانت أيضا امتثالا لتعاليم الدين الإسلامي. فبعد أن دعا له فيها بالخير والستر في الدنيا والآخرة، فقد اعتبر نفسه مهاجرا في سبيل الله، حيث كتب: "... **والله يبقي عليكم ستر الدنيا والآخرة بجاه سيد الأولين والآخرين محمد صاحب الشفاعة وسلام من الوثيق بالله وبرسوله عبد ربه المهاجر في سبيل الله سلمان بن علي بن جلاب وفقه الله، آمين، آمين، آمين، في ذو (كذا) الحجة سنة 1283...**" (الأرشيف الوطني التونسي، السلسة التاريخية، الحافظة 212، الملف 237، الوثيقة 22 الملحق 2).

وعلى هذا الأساس انطلقت هجرة الجزائريين إلى البلاد الإسلامية في بداية الاحتلال، حتى كادت البلاد أن تفرغ من نخبها وسكانها، واستمرت هجرتهم خلال الحقبة الاستعمارية برمتها، وتفرقوا شذرا مذرا في بلاد الإسلام من مغربها إلى مشرقها طلبا للعيش في كنف الإسلام والحرية الدينية، فقد هاجروا إلى بلاد المغرب بحكم روابط الدين والأخوة ومعطيات التاريخ والجغرافيا، كما هاجروا إلى بلاد المشرق لأن سحره وجاذبيته كانت دائما عالقة في أذهانهم. فالشرق عندهم كان مرادفا لمكة والمدينة وبغداد ودمشق والقاهرة والأزهر واسطنبول والقدس، وهي مدن وعواصم لها مكانتها الروحية والحضارية في قلوبهم وقلوب المسلمين عموما.

أدرك الساسة الفرنسيون خطورة هذه الهجرة، فاجتهدوا بكل ما أوتوا من قوة للتصدي لهذه الفتوى التي توجب على المسلمين الجزائريين الهجرة من بلادهم والتوجه إلى بلد إسلامي منذ بداية الاحتلال، وقد تولى هذه المهمة "**ليون روش**" "**Léon Roches**" الذي شغل في البداية وظيفة مترجم محلف لدى الجيش الفرنسي، وقد كلفه الجنرال "**بيجو**" "**Bugeaud**" بمهمة تنصرف إلى استصدار فتوى

من علماء مسلمين تلزم الجزائريين بالبقاء في بلدهم. وتبعا لذلك زار تونس واستطاع بمساعدة أحد التيجانيين أن ينالها من علماء القيروان، ثم أجرى اتصالات جدية مع علماء الأزهر بمصر، فصدّقوا عليها، كما صدّق عليها شريف مكة والطائف، ثم أرسلها إلى السلطات الفرنسية عام 1841، فعملت على الترويج لها في أوساط الجزائريين (Roches, 1904, p160).

والحقيقة أن الهدف الاستراتيجي للفرنسيين من وراء استصدار هذه الفتوى لم يكن يتعلق بجواز أو عدم جواز بقاء الجزائريين تحت سلطة "**الكافر**" أو "**المسيحي**" بسبب أن بلدهم تحول إلى "**دار حرب**" أو "**دار كفر**"، وإنما كان بغرض دفع الجزائريين للاستسلام والقبول بالأمر الواقع والتخلي عن المقاومة الوطنية المسلحة التي كانت مشتعلة حينئذ، وبعبارة أدق محاولة إقناع الجزائريين بأن الاستعمار الفرنسي للجزائر لا يزيد في جوهره عن قضاء وقدر، ولا يسوغ لهم شرعا محاربته لأن العناية الإلهية اختارت أن يكون حال الجزائريين كذلك لاسيما وأن هذه الأطروحة كان لها أنصار ومؤيدون في الأوساط الطرقية، ونعني بذلك أتباع الطريقة التيجانية على وجه الخصوص. ألم يمتنع شيخ الطريقة التيجانية عن التعاون مع الأمير عبد القادر عندما كان يقاوم الفرنسيين، ولم يتجشم عناء الرد على دعواته الداعية إلى الجهاد ورص الصفوف بحجة أنه "**إذا كان الله عز وجل هو الذي جلب الفرنسيين إلى الجزائر، فهو المؤهل والقادر دون سواه على رميهم في اليم إذا رام ذلك، وأن جل جلاله في غنى عن أذرع التيجاني الذي لا يملك القوة والنفوذ، والذي يفضل حياة الهدوء والدعوة والعبادة**" (Rinn,1844,p426). **ألم يدك الأمير عبد القادر حصن محمد الصغير التيجاني شيخ الطريقة التيجانية بعين ماضي نتيجة ذلك ويفرض عليه حصارا محكما ينتهي باستسلامه بسبب رفضه المقاومة ودعوة الناس إلى مهادنة المستعمر؟** (اسكوت، 1981، ص112).

بقي الفرنسيون يراهنون على فتاوي العلماء المتعلقة بالهجرة والتي تخدم مشروعهم الاستعماري في الجزائر إلى غاية نهاية القرن 19. وفي هذا المنظور سعى حاكمهم العام "**جول كامبون**" "**JulesCombon**" إلى استصدار فتوى من علماء مكة خلال موسم الحج عام 1893 بهدف توظيفها في إحكام السيطرة الفرنسية على مختلف مفاصل الجنوب الجزائري ذي التضاريس الصحراوية الوعرة، وفي الوقت نفسه محاولة دفع الجزائريين إلى الاستسلام وعدم مقاومة المستعمر الفرنسي وإضفاء الشرعية الدينية على ذلك (الماجري، 2010، ص66)، فاتصل بأحد الحجاج الجزائريين وزوده بالهدايا وكلفه بالاتصال بعلماء مكة للإجابة عن السؤال الفقهي الآتي: "**ما قولكم في أهل بلدة مسلمين قد استولى عليهم الكافر وصار حاكما عليهم ولم يتعرض لهم في أمور دينهم بل يحثهم على إجراء أحكامهم الدينية ووظف عليهم قاضيا من أهل دينهم يجري عليهم الأحكام الشرعية وجعل لهم معاشا وافرا يأخذه على رأس كل شهر. فهل مع هذا تجب عليهم**

الهجرة أم لا؟ وهل تجب عليهم مقاومته ومحاربته مع عدم قدرتهم على ذلك أم لا؟ وهل بلدهم التي استولى عليها يقال لها دار حرب أم دار إسلام؟ بينوا لنا بيانا شافيا قاطعا للنزاع أيد الله بكم الدين".

وبعد ذلك باشر هذا الرسول عدة اتصالات مع خادم الشريعة والمنهاج عبد الرحمن بن عبد الله سراج مفتي مكة المكرمة، ومحمد سعيد بن محمد بابصيل مفتي الشافعية بمكة المحمية، ومفتي السادة المالكية بمكة المحمية محمد عابد بن المرحوم الشيخ حسين. وقد أجابوا بالإجماع على هذه النازلة إجابة مؤداها أن بلاد الإسلام لا تعتبر بالضرورة دار حرب باستيلاء الكفار عليها طالما لم يظهروا حكم الكفر فيها، ولم يتعرضوا للمسلمين في أمور دينهم (قنان، 1993، ص262).

هكذا نلاحظ أن المستعمر الفرنسي عمل بكل الوسائل والأساليب "**الميكيافيلية**" التي أتيحت له من أجل التأثير على الجزائريين حتى يستنكفوا عن حمل السلاح ضده. والحقيقة أن الفرنسيين لم يكونوا يلجؤون إلى هذا الأسلوب لو لم يكونوا يدركون جيدا أنه يحقق مكاسب تخدم مشروعهم الاستعماري، لأنهم كانوا قد درسوا وخبروا المجتمع الجزائري، وتوصلوا إلى حقيقة مؤداها أن عنصر الدين كان يشكل حجر الزاوية في نظرة الجزائريين إلى الحياة وتوجيه سلوكهم، وأن المشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر وقع تنفيذه انطلاقا من دراسات اثنولوجية وسوسيولوجية قدمها أخصائيون لاختراق المجتمع الجزائري (Benachenhou, 1971,p181).

ومهما يكن من أمر فقد شهدت الجزائر موجة هجرة عارمة من نخبها إلى العالم الإسلامي ولاسيما إلى البلاد التونسية خلال القرن 19، وقد برر الفرنسيون تلك الهجرة بالتعصب الديني ورفض العيش تحت سلطة المسيحيين (الماجري، 2010، ص580)، وهو تبرير سقيم لا يحتاج إلى إقامة الدليل لدحضه، **ألم يكن هدف الفرنسيين من وراء ذلك هو طمس حقيقة الأسباب الدافعة للهجرة؟ ألم يكن هدفهم هو محاولة التنصل من مسؤوليتهم عن حركة الهجرة؟ أليس مقصد المهاجرين هو الفكاك من السياسة الاستعمارية الخرقاء التي طبقت ضد الجزائريين والتي قهرتهم اجتماعيا ودمرتهم اقتصاديا وحاولت أن تذوبهم فكريا وحضاريا؟** ذلك ما سنحاول تفصيله تباعا.

2.2. الهجرة بسبب السياسة الاستعمارية الجائرة وتدهور أحوال النخب الجزائرية

يجب ألا ننسى أن ثمة علاقة سببية بين هجرة النخب الجزائرية إلى البلاد التونسية خلال الفترة المشمولة بالدرس والسياسة الاستعمارية الجائرة المطبقة ضدهم وضد سائر شرائح المجتمع الجزائري برمته.

ومن هذا المنطلق، فإنه لا يمكن تصور دراسة موضوع هجرة هذه النخب بمعزل عن السياسة الكولونيالية الجائرة التي انتهجها المستعمر الفرنسي في الجزائر، والتي دفعت بالجزائريين إلى الهجرة إلى البلاد التونسية، وقد كانت هذه السياسة مرتبطة ارتباطا مركزيا بصفة عامة بالتشريعات القانونية

المجحفة التي تهدف إلى اغتصاب الأرض وتفكيك الروابط الاجتماعية التقليدية وهو الأمر الذي أدى إلى انخرام الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للسكان (الماجري، 2010، ص580).

كانت العائلات الجزائرية الكبرى النموذج الأمثل لهذه النخب التي مستها هذه السياسة. وغني عن البيان أن هذه العائلات كانت قد نسجت علاقة تحالف مع الفرنسيين في بداية الاحتلال حفاظا على الامتيازات التي كانت تتمتع بها في العهد العثماني، تلك الامتيازات التي كانت مهددة بالزوال في ضوء المعطيات الجديدة الناجمة عن الاحتلال الفرنسي للجزائر (Chair, 1971,p310).

وبعد أن ركزت الإدارة الاستعمارية نفوذها في الجزائر، عملت تدريجيا على تحطيم كبرياء هذه العائلات انطلاقا من عدة إجراءات منها:

- تقليص وتجزئة القيادات التي كانوا يبسطون عليها سلطاتهم مثل إقدام الفرنسيين على سلخ عشرة قبائل من قيادة المقراني وإلحاقها بوحدات إدارية جديدة تم استحداثها بقسمات بسكرة، المدية والبويرة. (A.O.M,44kk5)

- مضايقة رؤساء هذه العائلات ضريبيا، ومن صور ذلك تخفيض نصيب الرئيس الأهلي من إجمالي مبلغ الضرائب التي كان يقوم بجبايتها إلى عشر الضريبة بعد ما كان ثلثها في البداية. (A.O.M10K32)

- اتهام رؤساء العائلات الكبرى بالتقصير في أداء المهام الموكلة لهم، من ذلك مثلا أن رئيس القطاع العسكري القسنطيني اتهم صراحة القايد أحمد الصالح الرزقي من عائلة الرزقي بالتقصير في أداء المهام، بل والتحريض على زعزعة الأمن الفرنسي كتأليبه لقبيلة أولاد مسعود المقيمة على الحدود الشمالية الشرقية للجزائر، بالإغارة على قبيلة وشتاتة التونسية عام 1862، وتبعا لذلك تلقى هذا القايد توبيخا، وهذا بعد احتجاج كاهية الكاف بتونس على ذلك (I.S.H.T.C, .(A.O.M, S25H,C25H10,D1, BA11, Folio24

ونتيجة لهذه السياسة ساءت الأحوال الاجتماعية والمادية لبعض العائلات الكبرى، وانفض البعض منهم من حول الفرنسيين، وهاجر البعض الآخر إلى البلاد التونسية بحثا عن ظروف اجتماعية أحسن وأكثر ملائمة. وأما من بقي في الجزائر فقد تردى في حمأة الفقر والبؤس. وهذا ما نفهمه من خلال الرسائل التي كان يبعث بها وجهاء هذه العائلات إلى رجال السلطة الفرنسية في الجزائر والرسميين التونسيين إثر هجرتهم إلى البلاد التونسية. مثل الرسالة التي كتبها الحاج بن عز الدين إلى الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث يطلب فيها يد المساعدة. غير أن الحاكم العام الفرنسي بالجزائر الماريشال ماكماهون اطلع عليها ودون في ذيلها العبارة الآتية: "**ترى من غير الملائم أخذ بعين الاعتبار ما طلبه صاحبها**" (A.O.M,F80,1861).

وكذلك الرسالة التي بعث بها سلمان بن جلاب زعيم عائلة بن جلاب، – وهي العائلة المتنفذة بالجنوب القسنطيني– إلى الوزير التونسي مصطفى خزندار عام 1864، والتي شكا له فيها حاله ووضعه المالي غير المريح ملتمسا منه يد المساعدة وحدثه قائلا: "... **صرنا من المحتاجين غاية الاحتياج من قلة المصروف (كذا)...**" (الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الحافظة 78، الملف 930، الوثيقة 21).

وقد تدهورت كذلك وضعية عائلة المقراني صاحبة ثورة 1871، ونلمس ذلك من خلال الرسالة التي وجهها الأمير عبد القادر إلى الوزير مصطفى خزندار عام 1872، حينما التمس منه أن يشملهم "**بلحظة تخلصهم من غوائل الدهر وتنقذهم من شرك الكدر والقهر...**" (الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الحافظة 78، الملف 930،الوثيقة 65)، وكذلك رسالة محمد العصفور شيخ المدينة حول الحالة الاجتماعية لمحمد بن أحمد بن عبد السلام المقراني وعائلته بناء على طلب السلطات الفرنسية حينما أكد فيها: "...**أنه بحث عن المذكور وتبين أنه يسكن بالحجامين بباب الجزيرة، وله من العمر تقريبا 80 أعوام (كذا)، وهو فقير عاجز لا يتعاطى شيئا من الحرف وله أبناء ثلاثة وهم المذكورين بعده والأخير منهم يخدم بوليس (كذا) من بوليسية الحاضرة...**" (الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الحافظة 78، الملف 930،الوثيقة 60).

وإذا كانت حالة عائلة المقراني المهاجرة إلى البلاد التونسية على النحو الذي سقناه، فإن حالة أفرادها الذين آثروا البقاء بالجزائر لا تختلف كثيرا عنها. ففي نهاية القرن 19 فقدت هذه العائلة مجدها ومكانتها وأصبح المحظوظون منها يتاجرون في الدكاكين، شأنها في ذلك شأن حليفتها في الجهاد عائلة الحداد التي تدهورت حالتها هي الأخرى بعد ما كانت ثروتها تقدر بـ200.000,00 فرنك فرنسي قديم عام 1871 (Ageron,2005,p391).

وتحدث تقرير فرنسي يعود إلى نهاية القرن 19 على أن عددا كبيرا من أفراد عائلة المقراني كانوا يواجهون في تلك الأثناء الفاقة والإملاق، وأنهم كانوا يعيشون على المساعدات التي كانت تقدمها لهم زاوية الهامل ببوسعادة (Archives Nationale de Tunisie, Série A, Carton 278,Dossier 6)، والحقيقة أن الوضعية الاجتماعية البائسة التي آلت إليها وضعية عائلة المقراني عبرت عنها الرسالة التي بعث بها بومزراق المقراني عام 1873 شقيق الباشاغا محمد المقراني صاحب ثورة 1871 إلى الحاكم العام الفرنسي بالجزائر شاكيا له وضعه الاجتماعي المتأزم مؤكدا له أن: "**الدولة هي التي أخذت مالنا وأرزاقنا وأملاكنا وتركتنا على بسط (كذا) الفقر ... ترتبت بذمتنا الديون...**" (A.O.M. 6H37).

هكذا يتضح لنا من خلال ما تقدم أن هجرة النخب الجزائرية إلى البلاد التونسية خلال القرن 19 لم تكن مرتبطة فقط بالعامل الديني ورفض العيش تحت راية المسيحيين كما يدعي الفرنسيون،

وإنما أيضا بسبب السياسة الاستعمارية الفرنسية التي أضعفت مركزهم المادي والأدبي والاجتماعي بعدما ارتكزت عليهم وتوسطت بهم في السيطرة على مفاصل البلاد في بداية الاحتلال.

3. نماذج عن هجرة النخب الجزائرية

تقاطرت أعداد كبيرة من النخب الجزائرية على البلاد التونسية خلال القرن 19، وقد شملت هذه النخب ثلاث طوائف رئيسية، هي طائفة العلماء التي كانت لها تقاليد قديمة في الهجرة إلى هذه البلاد، ورواد المقاومة الوطنية المسلحة الذين تزعموا هذه الجماعة خلال تلك الفترة، وأفراد بعض العائلات الكبرى التي تسممت علاقتها بالمستعمر. وفيما يلي نبسط الحديث على كل طائفة منهم.

1.3. هجرة العلماء

لم تكن هجرة علماء الجزائر إلى البلاد التونسية وليدة الاستعمار الفرنسي للجزائر عام 1830م فحسب، وإنما استمدت جذورها من العصور القديمة. وقد تبلورت هذه الهجرة بصورة جلية خلال الفترة الإسلامية خاصة منذ أن أصبحت القيروان أحد المراكز الإسلامية الهامة في بلاد المغرب التي تشع بقية أنحاء إفريقية دينيا وعلميا. ونتيجة لإشعاعها العلمي، فقد كان طالبي العلم يؤمون مجالس علمائها ويتابعون دروسهم في مساجدها (الجابري، 1983، ص ص 18، 19).

ورغم أن الفرنسيين أقاموا الحدود بين الدولتين وراقبوها وأغلقوها في بعض الأحيان، فإن ذلك لم يمنع العلماء الجزائريين من الهجرة إلى البلاد التونسية لتلقي العلم على مشائخها والنهل من مكتباتها الغنية والانتصاب للتدريس والتعليم في مراكزها العلمية. وليس من السهل ضبط قائمة بأسمائهم لاقتفاء أثرهم هناك، لذلك سنكتفي بالإشارة إلى البعض منهم مثل قدور بن رويلة الذي كان من أبرز علماء الجزائر، وهو صاحب كتاب وشائح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، ومحمد بن الحاج من ناحية سيدي عقبة، وهما من قادة الأمير عبد القادر وحلفائه الكبار حينما كان يخوض مقاومته ضد الفرنسيين، وكذلك مصطفى بن عزوز أصيل طولقة التي غادرها وهاجر إلى نفطة التونسية بعد احتلال مدينة بسكرة وأسس زاوية نفطة الرحمانية الشهيرة (سعد الله، 1998، ص490).

ومن أكبر الوجوه العلمية التي أنجبتها عائلة بن عزوز التي استقرت بنفطة نذكر محمد المكي بن عزوز (1854-1916) الذي ولد بهذه المدينة، وأخذ العلم في جامعة الزيتونة بتونس، وبعد تخرجه باشر مهام الإفتاء والقضاء بنفطة، وكان أديبا وشاعرا، وقاضيا وعالما بالفقه وله العديد من الآثار العلمية منها: رسالة في أصول الحديث، السيف الرباني، هيئة الناسك، الأجوبة المكية عن الأسئلة الحجازية، الجوهر المرتب في الهيئة، تلخيص الأسانيد، إقناع العاتب في آفات الكاتب، بروق المباسم في ترجمة محمد بن أبي القاسم، عمدة الإثبات، شرح بهجة العاشقين... (بوصفصاف، 2002 ، ص97).

كان محمد المكي بن عزوز من كبار علماء الزيتونة، وقد تزعم حركة إسلامية سلفية، حتى قال عنه علال الفاسي أن له الفضل الكبير في تكوين عبد العزيز الثعالبي زعيم الحزب الدستوري التونسي. وهناك عائلات أخرى اشتهرت بالعلم وهاجرت إلى تونس أو وقع نفيها من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية مثل عائلة المدني، والسنوسي، وبوشوشة، والثعالبي والقلاتي، واللقاني وغيرهم. وقد مارس المتعلمون الجزائريون في تونس عدة وظائف قبل انتصاب الحماية الفرنسية عليها عام 1881م، وارتقى بعضهم إلى مناصب عليا، فكان منهم المعلمون الخاصون لأبناء الوزراء مثل الشيخ الطاهر الجنادي الذي كان شيخا لزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي بالجزائر قبل أن يهاجر إلى تونس، وكذلك الأطباء الذين انخرطوا في سلك العمل الطبي بتونس، ومنهم أيضا من عمل في مجال الصحافة والتدريس مثل الشيخ محمد اللقاني، ومحمد بن عبد السلام، وسلطاني، كما فضل بعضهم الحياة السياسية مثل صالح بن يحيى و إبراهيم اطفيش وغيرهما (سعد الله، 1998 ، ص490).

2.3. هجرة رواد المقاومة الوطنية المسلحة

أشرنا فيما مضى إلى هجرة بعض رواد المقاومة الوطنية إلى البلاد التونسية في معرض حديثنا عن العامل الديني ودوره في حركة الهجرة، وتحدثنا عن هجرة الناصر بن شهرة والكبلوتي بن الطاهر الرزقي. والحقيقة أن البلاد التونسية كانت خلال القرن 19 تشكل ملاذا آمنا لعدد غير قليل لهذه الطائفة من النخب الجزائرية التي فضلت الاحتماء بهذا القطر المجاور، مثل الشيخ محمد الحسناوي الحناشي، والشريف محمد بن عبد الله وغيرهما، وفيما يلي نبسط الحديث عنهما ونقدمهما كنموذجين لهذه الفئة المهاجرة إلى البلاد التونسية.

1.2.3. هجرة الثائر الشيخ محمد الحسناوي الحناشي

انتفض الشيخ محمد الحسناوي ضد السلطة الاستعمارية الفرنسية في الشرق الجزائري في بداية الاحتلال 1830-1847، وفي تلك الأثناء كانت علاقته متباغضة مع الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة الذي أزاحه من مشيخة الحنانشة وعوضه بأحد مقربيه وهو الشيخ الرزقي بن منصور. (سعيدوني،2000، ص61)، الأمر الذي دفعه إلى مبارحة التراب الجزائري والاحتماء بالتراب التونسي (دحماني، 2002، ص152).

ويبدو من خلال الوثائق أن الشيخ محمد الحسناوي كان قد نال صداقة المسؤولين في تونس وعلى رأسهم كاهية الكاف الذي كان يلعب دور الوسيط بينه وبين السلطات الاستعمارية الفرنسية بالجزائر، ذلك أن رئيس القطاع العسكري كان قد طلب من القنصل الفرنسي المعتمد بتونس التدخل لدى الكاهية لإقناع الشيخ محمد الحسناوي بعدم العودة إلى الجزائر لإثارة "**عمليات الشغب**" في الشرق الجزائري حتى يحافظ الفرنسيون على علاقاتهم الطيبة مع جيرانهم التونسيين (I.S.H.T.C, A.M.A.E, Série Affaires diverses,Dossier1,Bobine 517,Folio 145).

ويبدو أن الطرفين التونسي والفرنسي تمكنا من تجاوز هذه الأزمة، حيث أنه بعد هذه الأحداث بفترة قصيرة تدخل الباي التونسي وأعطى تعليمات دقيقة إلى كاهية الكاف تلزمه بإرغام الشيخ محمد الحسناوي بالبقاء على التراب التونسي أو العودة إلى الجزائر وطلب الأمان دون شرط أو قيد (I.S.H.T.C, A.M.A.E, Série Affaires diverses,Dossier1,Bobine 517,Folio 156)، كما كلف كاهية الكاف بضرورة توفير كل المعلومات الضرورية المتعلقة بنشاطه والسهر على عدم تكرار كل التعقيدات التي تسمم العلاقة بين فرنسا وتونس. (I.S.H.T.C, A.M.A.E, Série Affaires diverses, Dossier1, Bobine 517, Folio 120).

من المتصور أن كاهية الكاف لم يستسغ هذه التعليمات التي كانت توجه له حيث صمت أذنيه عن سماع كل دعوات الباي التي تدعوه إلى بتر صلاته مع صديقه الشيخ محمد الحسناوي، الأمر الذي أدى إلى تفاقم مشكلة هذا الثائر والتي أصبحت تؤرق ساسة فرنسا في عاصمتهم باريس إلى درجة أن وزير الحربية الفرنسي كان في تلك الأثناء قد طلب من "**الدوق دومال**" الذي كان يشرف على تصريف شؤون القطاع العسكري القسنطيني بالجزائر أن يتصل بباي تونس، ويحاول إقناعه بضرورة التخلي عن خدمات كاهية الكاف صالح بن محمد وتعويضه بموظف آخر تتوفر فيه شروط الحصافة والكفاءة والنزاهة والالتزام، حتى يكون مؤهلا لخدمة المصالح المشتركة للبلدين ومحاربة "**المتمردين**" الذين يقودهم الشيخ محمد الحسناوي. (I.S.H.T.C, A.M.A.E, Série Affaires diverses,Dossier1,Bobine 517,Folios201.202)

من الجائز القول أن الشيخ محمد الحسناوي كان في ذلك الحين قد شعر بالحرج نتيجة لهذه التطورات التي يبدو أن أخبارها كانت تصله أولا بأول، فقرر العودة بصفة نهائية إلى الجزائر والالتحاق بإقليم الحنانشة، فألقي عليه القبض واعتقل في منطقة طبيقة بسهول عنابة، إلا أن الفرنسيين فضلوا الاستفادة من خدماته بدل معاقبته، فأسندوا له قيادة عرش أولاد سيدي يحيى بن طالب عام 1848، ثم قيادة النمامشة عام 1850، وفي الأخير قاموا بتوقيفه ووجهوا له تهمة الاختلاس والتزوير واستعمال المزور، فأحالوه على القضاء الذي سلط عليه عقوبة النفي إلى جزيرة "**القديسة مارغاريت**" عام 1851م، إلا أنه سمح له بالعودة إلى أرض الوطن الذي فارق فيه الحياة عام 1853.(Féraud,1874, p120)

2.2.3. هجرة الثائر الشريف محمد بن عبد الله

محمد بن عبد الله أو شريف ورقلة كما تسميه المصادر الفرنسية المعاصرة لمقاومته، والتي تقدمه في صورة المغامر ذي الطموح غير المتناهي، كان قد حارب الفرنسيين ردحا معتبرا من الزمن ناهز نصف القرن. وقد افتتح مقاومته بفرض حصار محكم على بلدة القرارة بالجنوب الجزائري في صيف عام 1852 لمدة تجاوزت ثلاثة أسابيع كاملة قام خلالها بقطع نحو ألفين نخلة، وكان قد لجأ

إلى هذا الأسلوب العقابي بسبب رفض سكانها الانتصار لمقاومته والتعاون معه (Motylinski,1884, p440).

وبسبب قلة إمكاناته وقوة شكيمة أعدائه الفرنسيين، فقد هاجر إلى البلاد التونسية، ولم يركن هناك للراحة بل واصل عمله الثوري انطلاقا من التراب التونسي، فتحرجت منه الجهات الأمنية والسياسية التونسية، كما تضايق منه كذلك الفرنسيون بالجزائر الذين كانوا يتواصلون مع قناصلهم هناك ويطلبون منهم تزويدهم بمعلومات حول نشاطه هناك، وهذا ما يمكن أن نفهمه من مضمون الرسالة التي كتبها المشير التونسي أحمد باشا باي تونس إلى قنصل فرنسا بتونس عام 1854 حينما حدثه قائلا: "... **المكلف بأمور الدولة الفرنساوية والقنصل جنرال بحاضرتنا تونس أما بعد فإنه بلغنا كتابك في شأن الرجل الشريف الذي قدم من الغرب والجواب أننا سمعنا به...**" (الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الحافظة 212، الملف 239، الوثيقة1). وغني عن البيان أن الرجل الشريف المعني في هذا السياق هو الشريف محمد بن عبد الله، وأن المقصود بقدومه من الغرب هو مجيئه من الجزائر. كما حدثه في رسالة أخرى عن ذات الموضوع، وأشار إليه إلى أنه أصبح سقيما جراء الظروف المعيشية المزرية التي كان يعيشها بعيدا عن عائلته وأهله (Archives Nationale de la Tunisie, SérieH,Carton 212,Dossier 239,Folio 5).

ورغم ذلك بقي محمد بن عبد الله وفيا لنهجه الثوري حتى أيامه الأخيرة، وكان الفرنسيون يقتفون أثره في تونس ويتتبعون أخباره ويرسلونها دون تمهل إلى المسؤولين التونسيين لعلهم يساعدونهم على توقيفه. وقد أشارت إحدى مراسلات الوزير الأول التونسي عام 1876 إلى ذلك حينما حدث أحد أعوانه في منطقة الجريد التونسي حول هذا الموضوع قائلا له أنه وردته أنباء من القنصل الفرنسي تشير إلى أن هذا الثائر كان ينتجع في منطقة نفزاوة رفقة حشد كبير من أنصاره وأتباعه. (الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الحافظة 212، الملف 239، الوثيقة7)

وعندما فرض الفرنسيون نظام الحماية الاستعمارية على تونس عام 1881، توجس محمد بن عبد الله خيفة منهم، فنزح إلى التراب الليبي، ويبدو أنه لم يطب له المقام هناك، الأمر الذي يفسر عودته السريعة إلى الجنوب التونسي الذي بقي يعيش فيه متخفيا عن عيون الإدارة الفرنسية ومتفاديا الاصطدام بالفرنسيين إلى غاية 1895، وهي السنة التي قضى فيها نحبه (المرزوقي، 1973، ص268)، وبهذا يتبين لنا أن هذا الثائر كان قد قضى معظم حياته مناهضا للسلطة الاستعمارية الفرنسية وثائرا عليها ومحتميا بالبلاد التونسية التي طاب له المقام فيها حتى آخر أيام حياته.

3.2.3. هجرة العائلات الكبرى

فضل عدد كبير من أفراد العائلات الجزائرية الكبرى الهجرة إلى البلاد التونسية في تلك الأثناء، وفيما يلي نقصر الحديث على نموذجين منهم وهما: عائلة المقراني، وعائلة أولاد عز الدين.

فبعد قضاء الفرنسيين على ثورة المقراني التي اندلعت عام 1871، فضل عدد غير قليل من المقرانيين الهجرة إلى البلاد التونسية، وقد قدر عددهم بنحو خمسة مائة فرد (Taouti,1996,p78).

ويبدو أن الأوضاع المادية والاجتماعية لأفراد عائلة المقراني ازدادت تدهورا في بلد الاستقبال تونس خاصة بعد انتصاب الحماية الفرنسية عليها عام 1881. وهذا ما نفهمه من الرسالة التي كتبها أحد وجهائهم وهو محمد بن أحمد بن عبد السلام المقراني إلى وزير خارجية فرنسا عام 1890، والتي أكد له فيها أنه يعيش رفقة أفراد أسرته الكثيرة العدد بمدينة تونس تحت رقابة السلطات التونسية والفرنسية في ظروف قاسية، تحت عتبة الفقر، ولا مصدر رزق له ما عدا ما يتكرم به أهل الخير والاحسان، لذا التمس منه التدخل العاجل لانتشاله من حمأة الفقر الذي يتخبط فيه، معترفا له في الوقت نفسه بأن عائلته ارتكبت خطأ جسيما حينما حملت السلاح ضد فرنسا عام 1871، إلا أنه قال له بأنها نالت جزاءها بعد ذلك!(Archives Nationale de la Tunisie, Série A, Carton 278,Dossier 6,Folio 44).

وبالموازاة مع ذلك كان المقرانيون في ذلك الحين يتواصلون مع رجال السلطة الفرنسية في الجزائر، ويلتمسون منهم إسعافهم بإجراءات تقيهم من العوز والضياع والتيه، إلا أن الفرنسيين كانوا لا يتجشمون عناء الرد على خطاباتهم التي كانوا يوجهونها لهم (Archives Nationale de la Tunisie, Série A, Carton 278,Dossier 6,Folio 50).

أما عائلة أولاد عز الدين التي كانت لها اليد الطولى في إدارة شؤون منطقة الزواغة بالشرق الجزائري، فقد هاجر أفرادها هي الأخرى إلى البلاد التونسية ابتداء من عام 1864، وذلك عندما انفض زعماؤها من حول الفرنسيين حينما انتصروا لثوار سكان الزواغة وفرجيوة الذين أعلنوا ثورتهم في 1864/04/18(Féraud, 1878,p220)، غير أن الفرنسيين تمكنوا من القضاء على هذه الثورة وسارعوا إلى توقيف كافة أفراد ووجهاء هذه العائلة (Ageron,1980,p135).

ونتيجة للمضايقات التي كانت تطالهم، فقد هاجر معظمهم إلى البلاد التونسية، ويبدو أن المصير الذي واجهته عائلة المقراني بالبلاد التونسية واجهته كذلك عائلة أولاد عز الدين، حيث فضل بعض أفرادها العودة إلى الجزائر، فاتصلوا بالسلطات الفرنسية بالجزائر لكي تسمح لهم بالعودة هناك، إلا أن الفرنسيين كانوا يعترضون على عودتهم، وهذا ما أشارت إليه رسالة القنصل الفرنسي المعتمد بتونس إلى الحاكم العام الفرنسي بالجزائر، والتي نصحه فيها كما نصح كل المسؤولين الفرنسيين بصفة عامة بعدم السماح لأولاد عز الدين ولاسيما زعيمهم الحاج بن عز الدين بالعودة إلى الجزائر لما تنطوي عليه عودته هناك من مخاطر يمكن أن تخلخل الأمن الفرنسي (A.O.M, 2H20, Folio 173).

والحقيقة أن رغبة أولاد عز الدين والمقرانيين وسائر النخب الجزائرية المهاجرة إلى البلاد التونسية في العودة إلى الجزائر لا يمكن أن تجد لها تسويغا وتفسيرا إلا بانكسار خواطرهم وشعورهم بخواء وفاضهم ورغبتهم الجامحة في العودة إلى أرضهم وأهلهم الذين تركوهم، كما أن تدهور أحوالهم المادية والاجتماعية هناك كان بسبب سياسة الفرنسيين الذين ضايقوهم هناك بعد فرض حمايتهم الاستعمارية على تونس عام 1881، وليس بسبب عدم إسعافهم من قبل الجهات الرسمية التونسية، لأن البلاد التونسية كانت قبل ذلك ملاذا آمنا للمهاجرين الجزائريين، وفتحت أبوابها على مصراعيها أمام الثوار الجزائريين ورواد المقاومة الوطنية الذين كانوا يفضلون الاحتماء بها كلما ازداد عليهم الضغط الاستعماري كما عرفنا.

خاتمة

في ختام هذه الدراسة المتواضعة، استطعنا أن نقف على بعض الحقائق التاريخية الهامة، وأن نخلص إلى عدة نتائج يمكن إيجازها فيما يلي:

لا يمكن في اعتقادنا دراسة موضوع هجرة النخب الجزائرية إلى البلاد التونسية خلال القرن 19 بمنأى عن الاشكالية الدينية، لأن هذه الهجرة ستفقد دلالتها وستحرف عن سياقها التاريخي وسيشوه معناها إذا لم يتم إدراجها في قالبها الديني الإسلامي، لأن مسألة شرعية الهجرة من عدمها تعد مسألة مألوفة في الموروث الثقافي الإسلامي وذلك بحكم النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية التي تدل على ذلك، وكذلك الآراء الفقهية التي تصدت لهذه المسألة.

يبين لنا الجدال الفقهي المتعلق بشرعية الهجرة من عدمها، والذي ساد في الجزائر خلال القرن 19 جانب مهم من مضمون الفكر السياسي الجزائري بأطره النظرية الذي كان يهيمن على عقول النخب الجزائرية حينئذ. وقد كان استمرارا لجدال قديم يستمد مرجعيته التاريخية من عمق التراث العربي الإسلامي. **فهل يمكننا الحديث فعلا عن بداية ظهور ملامح فكر سياسي جزائري خلال تلك الفترة انطلاقا من مضمون ذلك الجدال؟ وهل هذا الجدال مؤشر على تسلط الفكر الديني على أذهان النخب الجزائرية وعامة الناس؟ وإذا سلمنا بفرضية صحة تسلط هذا الفكر على الأذهان، فهل هذا التقييم ينسحب على النخب الجزائرية دون سواها من نخب العالم العربي الإسلامي باعتبارهم كانوا في مواجهة مباشرة مع الغرب المسيحي الذي تقوده فرنسا الكولونيالية أم أنه ينطبق أيضا على سائر النخب العربية الإسلامية؟ أليس الحيوية التي اتسم بها هذا الجدال الديني حول مشروعية الهجرة من عدمها مؤشر على خصوبة الفكر الديني أم أنه كان جدالا سقيما لم يكن يتخطى دائرة النقاش والمناظرة؟**

عند الاستقراء الدقيق لهجرة النخب الجزائرية إلى البلاد التونسية يمكن أن تتبادر إلى أذهاننا عدة تساؤلات منها: **هل هجرة هذه النخب تفسر وكأنها دليل على انعدام الشعور بالروح الوطنية**

لديهم والانتماء إلى وطن ذي حدود جغرافية معلومة؟ هل هذه الهجرة مؤشر على قصور الرؤية السياسية لدى هذه النخب؟ ويبدو أن الرد على ذلك بالإيجاب فيه تجن على الواقع التاريخي، ذلك أن الجزائريين الذين كانوا يهاجرون إلى البلاد التونسية وبلاد العالم العربي والإسلامي بصفة عامة لم يكن ينظر إليهم على أنهم أجانب بحكم أنهم ينتسبون إلى الأمة الإسلامية وبالتالي فإن مسألة الانتماء الوطني والهوية المجالية، والحدود الجغرافية والجنسية لم تكن مطروحة، وإنما طرحت اعتبارا من نهاية القرن 19 ضمن المنظومة القانونية التي استحدثها الاستعمار الأوروبي الحديث في مستعمراته التي من بينها بلدان المغرب العربي. وعلى هذا الأساس فلا مندوحة لنا من قراءة هذه المواقف بمنطق عصرها وروحه، وأن تجاوز هذا المبدأ الذي تقوم عليه المنهجية التاريخية سيؤدي لا محالة إلى الابتعاد عن الحقيقة التاريخية، بل ربما التجني عليها، والوقوع في المزلات والمغالط والحيد عن جادة الصدق.

كانت الهجرة في تصور النخب الجزائرية المهاجرة إلى البلاد التونسية خلال القرن 19 من الضروريات التي وجب عليهم العمل بها في تلك الظروف الاستثنائية التي تحولت فيها الجزائر إلى "**دار حرب**" أو "**دار كفر**" بسبب سيطرة المستعمر الفرنسي "**الكافر**" عليها، في حين كانت البلاد التونسية "**دار سلم**" أو "**دار إسلام**"، فكانت هذه الهجرة من المسلمات الضرورية والبديهية التي فرضها الشعور بالتضامن الشعبي والرسمي والتكافل الذي يجمع بين مسلمي البلاد المغاربية ويوحد بينهم أمام الأزمات والمحن. وقد ترجم الرسميون التونسيون هذه القناعة خاصة أثناء تعاطفهم مع رواد المقاومة الوطنية وزعماء العائلات الكبرى الذين أسعفوهم وآووهم من جور الفرنسيين، ولم يفرطوا في مبادئ حسن الجوار والقرابة الدموية المتوارثة عبر الأجيال والمبادئ الإسلامية والتقاليد الاجتماعية التي تقوم على حماية المسلمين الفارين من عسف وجبروت الكفار.

ملاحق

الملحق رقم 1: [1] رسالة الكبلوتي بن الطاهر الرزقي إلى الوزير التونسي مصطفى خزندار في 03 ذي الحجة 1287هـ (24 فيفري 1871) يطلب فيها اللجوء إلى البلاد التونسية.

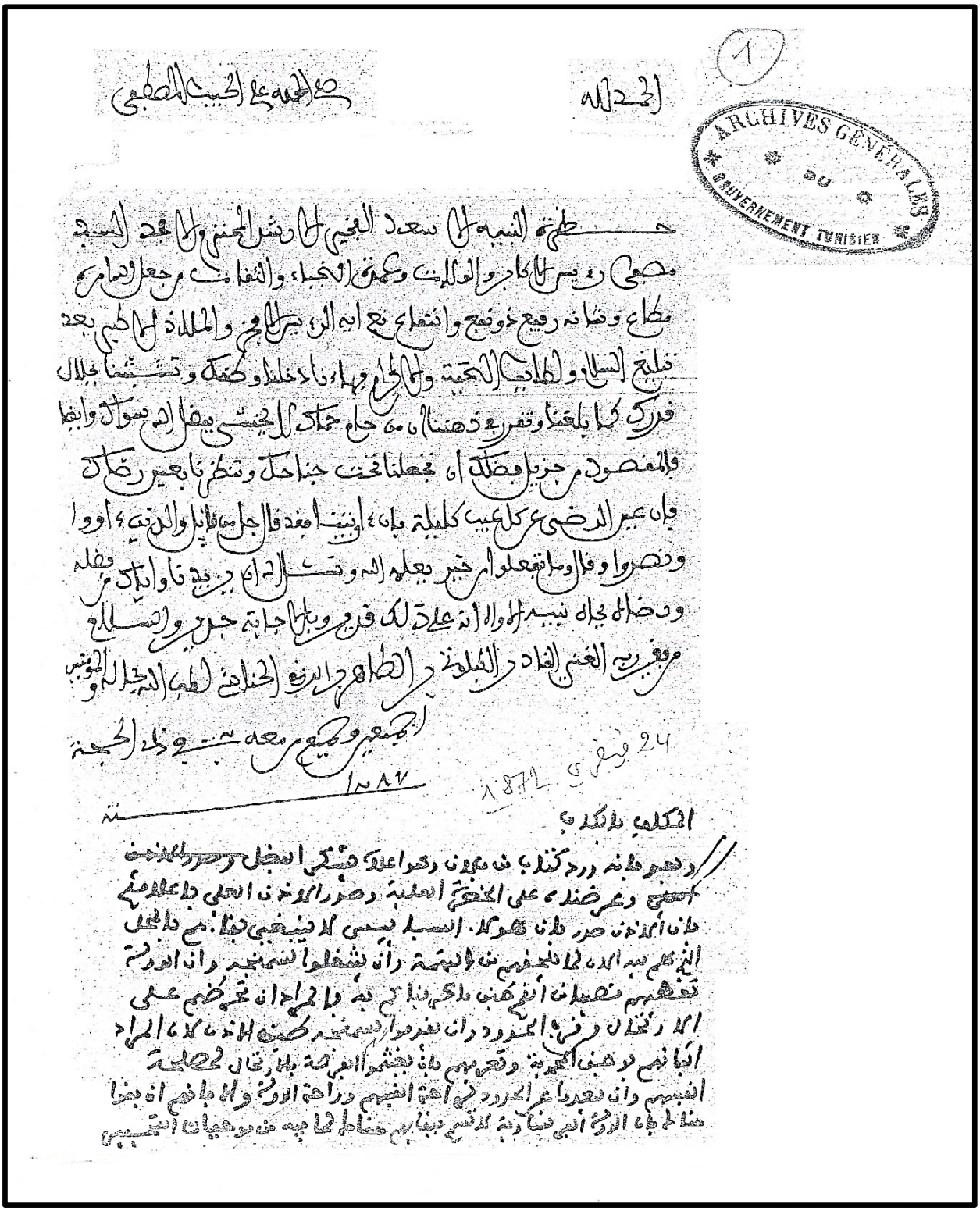

1- الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الحافظة 212، الملف 240، وثيقة رقم 1.

المجلة التاريخية الجزائرية AHJ
The Algerian Historical Journal
EISSN: 2716-9065 / ISSN: 2572-0023

الملحق رقم 2: [2] رسالة الناصر بن شهرة إلى محمد باي تونس، وهي غير مؤرخة ويبدو من سياق الأحداث أنها كتبت ما بين 1855– 1859، وقد أشار فيها إلى أنه مهاجر في سبيل الله.

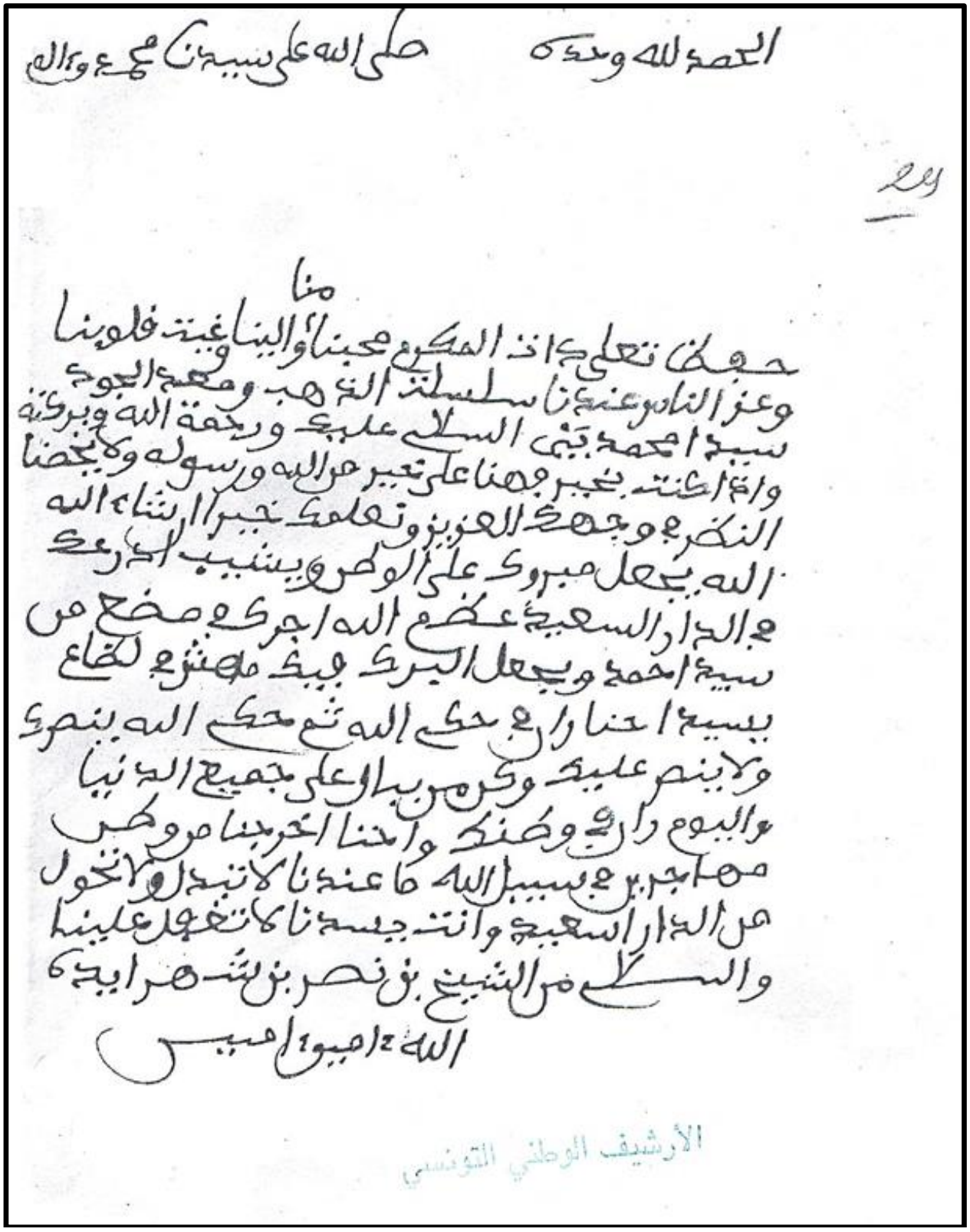

الحمد لله وحده   صلى الله على سيدنا محمد وآله

منا
حضرة تعلى ذات المكرم محبنا والبنا غيبة قلوبنا
وعز الناس عندنا سلطان الذهب ومعدن الجود
سيدي احمد باي السلام عليك ورحمة الله وبركاته
واذا اعتنت بخبر جهتنا على خير من الله ورسوله ولا يخضا
النكر في وجهك العزيز وتعلمك بخبر ان شاء الله
الله يجعل مبروك على الوطن ويتسبب اذرعك
في الدار السعيدة عظم الله اجرك في صفح من
سيدي احمد ويجعل البركة فيك ما هو في لقاع
ببسيع احنا ان في حكم الله ثم حكم الله ينصرك
ولا ينصر عليك ونحن من بناو على جميع الدنيا
واليوم دارك وضنك واحنا اخرجنا من وطن
مهاجرين في سبيل الله ما عندنا لا نبدل ولا نحول
من الدار السعيدة وانت حسدنا لا تغفل علينا
والسلام من الشيخ بن نصر بن شهرة ابقاه
الله احبو احبيب

الأرشيف الوطني التونسي

2– الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الحافظة 78، الملف 930، وثيقة رقم 29.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن كريم، **سورة الأنبياء: الآية 73، سورة النساء: الآية 97.**
- **الأرشيف**

1- الأرشيف الوطني التونسي: **السلسلة التاريخية، الحافظة 212، الملف 237، السلسلة التاريخية، الحافظة 212، الملف 239، السلسلة التاريخية، الحافظة 78، الملف 930، Série A, Carton 278, Dossier n° 6**

2- أرشيف المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر (I.S.H.T.C):

- المصغرات الفيلمية للأرشيف الفرنسي لما وراء البحار (A.O.M):

- Série 25 H, Carton 25H10, Dossier n° 1, Bobine A 11,
- Série 25 H, Carton 25H16 (2), Dossier n° 2, Bobine A 22,
- Série 25H Tunisie, Dossier n° 06, Carton n° 25H9, Bobine A10 série 25H, n° 25H 18, Dossier n° 5, Bobine A26

- المصغرات الفيلمية لأرشيف وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية (A.M.A.E):

- Série Affaires Diverses Politiques, Dossier n° 1, Bobine 517
- Série correspondance politique, Dossier n°1 Carton n°7, Bobine n°288

3- الأرشيف الفرنسي لما وراء البحار بايكس أون بروفانس (فرنسا): F 80. 497 – 44 KK5 – 10 KK32- 6H37-2H19 -2H20

- **المصادر والمراجع باللغة العربية**

- إسكوت، ك. (1981)، **مذكرات الكولونيل إسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر سنة 1841**، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- بل، أ. (1989)، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- بوصفصاف، ع. (2002)، **معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، الجزء الأول قسنطينة، الجزائر: منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري.
- الجابري، م. (1983)، **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962**، الجماهيرية العربية الليبية: الدار العربية للكتاب.
- الجزائري، م. (2007)، تحفة الزائر في تاريخ والأمير عبد القادر، الجزء الأول، شرح وتعليق ممدوح حقي، الجزائر: منشورات ثالة، الأبيار.
- دحماني، س. (2002)، **من هيبون (بونة) إلى عنابة تاريخ تأسيس قطب حضري**، عين مليلة، الجزائر: دار الهدى للطباعة.
- سعد الله، أ. (1982)، **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)**، الجزء الرابع، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- سعد الله، أ. (1998)، **تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الخامس (1830-1954)**، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

- سعد الله، أ. (2007)، "**هجرة بعض الأعيان الجزائريين (1830-1847)**"، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830-1962، المنعقد بالجزائر يومي 30-31 أكتوبر 2006، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين.
- سعيدوني، ن. (2000)، **الجزائر منطلقات وآفاق، مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم**، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- العدوي، إ. (1961)، أحمد، المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى، القاهرة، مصر: دار المعرفة.
- فيلالي، ك. (2005)، "**الحراك السوسيوتاريخي للفاعلين وتطور مفهوم النخب في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر الهجرة والرحلة**"، مجلة علمية يصدرها مخبر الأبحاث الاجتماعية والتاريخية حول حركات الهجرة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، العدد1.
- قنان، ج. (1993)، **نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- الماجري، ع. (2010)، **هجرة الجزائريين والطرابلسية والمغاربة الجوانة إلى تونس (1831-1937)، دراسة تاريخية لإشكالية الاستعمار والهجرة وتشكل الجاليات المغاربية بتونس وخصوصياتها الاجتماعية والقانونية**، تونس: الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم.
- المودودي، أ. (1984)، **نحن والحضارة الغربية**، جدة، المملكة العربية السعودية: الدار السعودية للنشر
- يحياوي، ج. (2007)، "**دوافع الهجرة الجزائرية خلال القرن 19م**"، أعمال الملتقى الوطني حول الهجرة الجزائرية إبان مرحلة الاحتلال 1830-1962، المنعقد بالجزائر يومي 30-31 أكتوبر 2006، الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين.

- **المصادر والمراجع باللغة الفرنسية**

- Ageron, Ch.R.(2005), **Les Algériens Musulmans et La France**: Éditions Bouchène 1871-1919, Tome premier, Paris, France.
- Benachenhou, A. (1971), **Connaissance du Maghreb, Notions d'Ethnographie, d'Histoire et de Sociologie**, Alger, Algérie: Presses des Éditions populaires de l'armée Nationale.
- Chaîr, O. (1971) « **les Algériens dits: « de grande tente** », in Historia Magazine, Éditions JullesTallandier, Paris, France, n° 203, Année.
- Deschamps, H. (1964), **Les institutions politiques de L'Afrique Noire**, Paris, France: P.U.F.
- Guenaneche, M. (1990), **le mouvement de l'indépendance en Algérie entre les deux guerres (1919-1939)**, Traduit de l'arabe par Sidi Ahmed Bouali, Alger, Algerie: ENAL.
- Rinn, L. (1844), **Marabouts et Khouans, Alger**, Algérie: librairie, Éditeur.
- Robert, P. (1990), **Le petit Robert, dictionnaire alphabétique et analogique de la langue Française**, Paris, France.
- Roches, L. (1904), **Dix ans à travers L'Islam (1834-1844)**, Préface de M.Carraby, Paris, France, 1904 .

- Smati, M. (1998) **Les élites Algériennes sous la colonisation**, Tome I, Alger, Algérie: Éditions Dahlab .
- Truand, J.L. (1995), **Les Légendes noir de la Sanusiyya. Une confrérie musulmane saharienne sous le regard français (1840-1930),** Tome premier, Paris France:Éditions de la maison des sciences de l'homme.
- Trumelet, C. (1877), « **Notes pour servir à L'histoire de L'insurrection dans**
- **Le sud de la province d'Alger en 1846** », in Revue Africaine n° 21, Année
- 1877.
- Charles Feraud :« **Ferdjioua et Zouagha. Notes historiques sur la province de Constantine.** », in Revue Africaine no 22, annee1878.
- Charles Feraud :« **Les Harar. Seigneurs des Hanencha. Études historique sur la province de Constantine** », in Revue Africaine, no 18, annee1874.
- A. De C'. Motylinski :« **Notes historiques sur le Mzab:Guerara depuis sa fondation** »,in Revue Africaine, no 28,annee1884.
- 61-Seddik Taouti, **Les déportés Algériens en Nouvelle Calédonie**, Dar el Oumma, Alger, Algérie, 1996.